جوانب من تأثيرات القرصنة في النشاط الاقتصادي لمدينة الجزائر من سنة(1670 إلى 1815م).

Aspects of the effects of piracy in the economic activity of the city of Algeria from 1670 to 1815.

نواصر عبد الرحمان*

جامعة تامنغست

nouacerabderrahmane@univ-tam.DZ

تاريخ الاستلام: 2023/02/13 تاريخ القبول 2023/04/19 تاريخ النشر 2023/05/14

ملخص:

من بين التأثيرات العثمانية البارزة في مدينة الجزائر من الناحية الاقتصادية، أعمال القرصنة البحرية، لما كان لها كبير الأثر في موارد خزينة الدولة، وخلق برجوازية مكونة من رياس البحر، ولعبت دورا بارزا في تموين مدينة الجزائر بالبضائع إلى درجة التأثير في حركة أسعار مختلف البضائع من حيث قانون العرض والطلب، لكن هذه الوضعية لا تستمر بحيث اختل التوازن بين تطور الدول الأوربية تقنيا وضعف الدول الإسلامية في هذا المجال أثر سلبا على ما كانت تحققه القرصنة من مداخيل.

الكلمات المفتاحية: التأثيرات، مدينة الجزائر، القرصنة، الأسرى، ميناء مدينة الجزائر، الغنائم البحرية، رياس البحر.

Abstract:

Among the prominent Ottoman influences in the city of Algeria in economic terms, the acts of maritime piracy, since it had a great impact on the resources of the state treasury, and created a bourgeoisie made up of sea riyals, and played a prominent role in supplying the city of Algeria with

* المؤلف المراسل

goods to the extent of influencing the movement of prices of various goods from Where the law of supply and demand, but this situation does not continue so that the imbalance between the development of European countries technically and the weakness of the Islamic countries in this area has negatively impacted by the piracy of revenues.

key words: effects, city of Algeria, piracy, prisoners, port city of Algeria

مقدّمة:

لقد أدى الوجود العثماني في الجزائر عامة وفي مدينة الجزائر خاصة إلى استحداث عدة نشاطات على مستوى جميع الميادين الحياتية، ونخص هنا في هذه الدراسة الجانب الاقتصادي، الذي تغيرت موارده بمجيء العثمانيين الذين اتخذوا من نشاط القرصنة ركيزة هامة في تأمين مداخيل م للخزينة، وتموين البلاد ببعض المستلزمات من مختلف البضائع، وقد أشارت الوثائق الأرشيفية والمصادر الأجنبية والمحلية إلى ذلك. ففيما تمثلت مظاهر هذه التأثيرات في النشاط الاقتصادي لمدينة الجزائر؟

1-المقصود بالقرصنة[1]:

نقصد بالقرصنة هنا القرصنة المشروعة والتي كانت معروفة حتى عند الدول الأوربية، والقرصنة كانت من أعمال الأسطول الجزائري، كما كان يعرف بالجهاد البحري، الذي فرضته الظروف الدولية في البحر المتوسط والذي يعود له الفضل في تصفية الجيوب المندسة فيها إسبانيا على السواحل الجزائرية، ووضع حد للحملات التي تنظمها الدول الأوربية ضد الجزائر خاصة إسبانيا، ومنه كان لهذا النشاطات كبيرة الأثر في مدينة الجزائر خاصة أنّ القرصنة كانت تدخل في إطار المواجهة بين الجزائر والدول المعادية قبل القرن 17 أما خلال فترة هذا القرن أصبحت تعتبر القرصنة هي النشاط المركزي لمدينة الجزائر خاصة بعدما انتقلت القرصنة من مستوى البحر المتوسط إلى مستوى المحيط الأطلسي الذي كان يلعب دورا بارزا في المبادلات التجارية[2].

2-مظاهر تأثيرات القرصنة على مستوى ميناء[3] مدينة الجزائر:

يشكل ميناء الجزائر نقطة أساسية في نشاطات المدينة، خاصة التجارية، وبالتالي حضي بعناية الحكام، من حيث تأمينه من ضربات الأعداء ومن حيث العواصف البحرية التي كانت تشكل خطورة على السفن، ومن ثمّ هذا النشاط التجاري توجب عليه فرض رسوم العبور، ويتولى الإشراف على هذه العملية قائد المرسى المتمثل في مأمون آغا، ونائبه محمد خوجه من الجمعة الثالثة من حرم عام 1081 هـ/1671/1670م، إلى الجمعة الثانية من ربيع الثاني من نفس العام وذلك من خلال وثائق سجلات بيت البايليك بالأرشيف الوطني الجزائري.ويوضح الجدول مدخيل الميناء الأسبوعية من كل شهر:

جودول مع تمثيل بياني لبعض مداخيل مينا ء الجزائر من محرم إلى ربيع الثاني 1081هـ/1671م

رقم الجمعة	1ج	2ج	3ج	4ج	5ج	6ج	7ج	8ج	9ج	10ج	11ج	12ج	13ج
المدخول-صيمة	710	353	114	31	00	326	101	144	184	1568	649	454	75

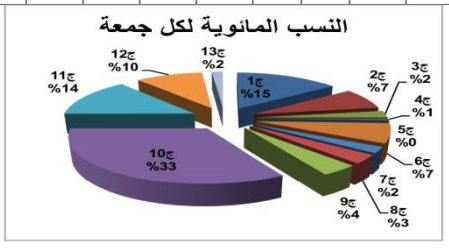

من خلال هذه النسب المائوية نستنتج أن مداخيل المرسى كانت غير مستقرة ومتفاوتة فيما بينها مثلا بلغت أكبر قيمة لها في الجمعة العاشرة بنسبة 33% وانخفضت إلى 1% في الجمعة الرابعة بل انعدمت (0%) في الجمعة الخامسة ويعود سبب هذا التذبذب في المداخيل لعدة أسباب منها:

-سنة 1670 كانت حرجة جدا حدثت بها عدة أمور أثرت في جميع المجالات الحياتية، وتمثل ذلك في انتشار الطاعون الذي عرفه النصف الثاني من القرن 17م، وسمي بالطاعون "الدملي" ما بين 1654 و1666م، ودام في مدينة الجزائر ثلاثة سنوات

وقضى على 3/1 سكانها، وتمّ تحميل البحارة مسؤولية هذا الوباء، وتوفي من الأسرى ما يقارب 10 أسير مما شكل خسارة مالية كبيرة[4].

بلغ سكان الجزائر سنة 1621م حوالي 160000 نسمة (30ألف تركي، 97000موريسكي،10000 يهودي، وحوالي 18000، وقضى الطاعون على سكان 60 ألف[5].قطعت الجزائر العلاقات مع الانجليز وأخذ الرياس يترصدون بسفنهم حيث وقعت 5سفن في قبضة الجزائريين في سنة 1081هـ/1670م، واستمر هذا الوضع المتوتر حتى سنة 1671م، وبعدها عادت العلاقات السلمية مع بريطانيا إلى سنة 1677[6].

من خلال الأرقام نلاحظ بأن ارتفاع مدخول بعضل يعود بالدرجة الأولى إلى عائدات الغنائم مثل الغنيمة التي كانت من نصيب "كور علي" وبلعت 362 صيمه، وغنيمة البخاري شعبان التي بلغت 139 صيمه.قد ترتفع المداخيل بسبب قيمة البضائع الواردة أو المباعة في المرسى مثل القيمة الكبيرة المسجلة على مستوى 13 جمعة والتي بلغت 1531 صيمه في الجمعة الثالثة من ربيع الأول 1081هـ.

وبالتالي مرسى الجزائر كان موردا هاما لخزينة الدولة وموردا لجيوب بعض الموظفين، ولا ننسى أنه كان يشكل في كثير من الأحيان مصدر خطر على السكان خاصة عندما يتعلق الأمر بالأمراض المعدية.

3-الأسرى وعلاقتهم بالاقتصاد:

تزايد عددهم بفعل القرصنة، وكان الفرض منه الحصول على الفدية ومنه تحقيق مداخيل مالية، وفي نفس الوقت القيام بأعمال في الفترة التي يقضيها الأسير في الجزائر، ومنه اختلفت أعمال هؤلاء الأسرى على حسب مهنتهم في أوطانهم فكان الطباخ، والبناء، والطبيب وإلى غير ذلك من الأعمال، و في حالة دخول هذا الأسير للإسلام يحظى بمكانة مرموقة في المجتمع الجزائري ترفعه إلى درجة توليد المناصب العليا والتي كان

مسموح بها للأعلاج توليدها حتى على مستوى الرئاسة، وعدد هؤلاء الأسرى الذي اشرنا إليه في التأثيرات الاجتماعي[7]، والتي بلغت سنة 1580 إحصائيات 25000 أسير، وفي سنة 1620 بلغ العدد 35000 أسير، بل كان هناك من الشخصيات التي كانت تملك من الأسرى ما يلفت الانتباه أمثال "علي بتشين" تواجد في سجونه سنة 1785 حوالي 6000 أسير[8].

والشيء الذي ينبغي أن نشير إليه أن الأسرى تزيد فديتهم وقيمتهم المالية على حسب مستواهم العلمي أو انتمائهم إلى سلم الاجتماعي الذي كانوا يعيشونه في بلدانهم مثل: العالم اليوناني "بيار جيل" أسير في سنة 1546، الأسير الكاتب الإيطالي "يملنويلاروندا" في سنة 1640 والأسير الإسباني "ميكال سرفانتيس" المعروف بقصة "دون كيشوت" من سنة 1775، وغيرهم، ومن الإحصائيات التي تناولت عملية الافتداء بواسطة رجال الدين الدراسة التي قام بها "منور مروش" أن مجموع فدية ورسوم الأسرى من سنة 1702 إلى سنة 1739 في المتوسط سنويا بلغ 28607 قرش إسباني، ويشير كذلك اعتمادا على دراسة "فريدمان" أن متوسط ثمن الفدية في القرنيين 16 و17م ما بين 125 و150 قرش إسباني لتعرف الارتفاع خلال القرن 18م[9]، وبالتالي قيمة الفدية تتحكم فيها ظروف وعوامل منها الهدايا التي تعطي للمسؤولين، والظروف الدبلوماسية، والمستوى الاجتماعي والكفاءة المهنية الخاصة بالأسير، وخاصة أن نجد شخصيات لها كفاءة ومهارة في عملية المضاربة في عملية الافتداء مثل الأندلسيين الذين حققوا أرباحا طائلة من هذه العملية.

–تطور ثمن الأسرى:

نرصد تطور أسعار الأسرى من خلال مصدرين هامين بمثابة وثيقتين رسميتين، رغم فقدان النسختين الأصليتين، ألا وهما: دفتر التشريفات، وسجل الغنائم البحرية لـ:"ألبرت ديفولكس"، حيث يشير سجل الغنائم إلى ثمن الأسرى، وإن كان في الكثير من الأحيان

يذكر ثمن الغنيمة إجمالا دون تحديد لثمن الأسرى مثل الغنيمة رقم 65 حسب الترتيب الذي اعتمده "ديفولكس" ذكر مكونات الغنيمة من: القماش والشمع بالإضافة للأسرى سنة 1183هـ/1769م، وأول إشارة لثمن الأسرى في سجل الغنائم كان الغنيمة رقم 20 بتاريخ 25 ربيع الثاني 1180هـ/ الموافق لـ 30سبتمبر 1766م، وعدد الأسرى كان 04، ثمن الأسير الواحد:349.31 فرنك فرنسي، وسنعرض في الجدول الآتي تطور أسعار الأسرى من سنة:1180هـ/1766م 1224هـ/1809م[10].

رقم الغنيمة	عدد الأسرى	ثمن الأسير الواحد	تاريخـــها
20	04	349.31 ف	1180هـ/1766م
35	02	486 ف	1767/1181م
46	04	388.68 ف	1182هـ/1768م
50	03	2488.12 ف	1182هـ/1768م
51	03	261.75 ف	1182هـ/1768
53	14	315.68 ف	1183هـ/1768م
55	40	453.87 ف	1182هـ/1768م
60	08	464.48 ف	1183هـ/1769م
69	02	291.37 ف	1184هـ/1770م
73	01	727.31 ف	1773/1187م
78	16	444.93 ف	1189هـ/1775م
81	08	4708.05 ف	1189هـ/1775
83	18	423.84 ف	1189هـ/1775م
96	04	664.03 ف	1191هـ/1777م
106	04	453.5 ف	1191هـ/1777م
108	11	368.79 ف	1192هـ/1778م
109	06	317.16	1192هـ/1778م
120	05	3737.97 ف	1192هـ/1778م
125	04	376.87 ف	1193هـ/1779م
269	04	531.27 ف	1210هـ/1795م
271	50	842.62	1210هـ/1796
278	09	636.75 ف	1211هـ/1796م
290	10	287.1 ف	1212هـ/1797م
303	04	636.75	1798م

322	06	869.06	1213هـ/1799م
332	66	701.04	1214هـ/1799م
357	282	722.04 ف	1217هـ/1802
376	65	664.42	1218هـ/1803م
378	32	664.41 ف	1219هـ/1805م
388	10	973.35	1807/1222م
399	18	552.95	1224هـ/1809م

من خلال الجدول نلاحظ أنّ ثمن الأسرى غير مستقر يختلف من سنة إلى أخرى بل نجده يختلف على مستوى السنة الواحدة ويتحكم ف تحديد سعره: رتبة الأسير على ظهر السفينة مثل القائد، أو مهنته كأن يكون طبيب مثل الطبيب النابولي "باسكوال غاميزو "(pascual Gamizo) الذي أسره "الحاج محمد الإسلامي" في غنيمة سنة 1191هـ/1777م، بيع لصالح باي بـــ:4000 فرنك فرنسي أي ما يعادل 1000 محبوب وهذا يعود إلى قيمته الكبيرة من حيث مهنته[11]. ولذلك نجد هذه الأسعار تختلف من غنيمة إلى أخرى على حسب نوعية الأشخاص المأسورين ومكانتهم الاجتماعية التي جاؤوا بها من أوطانهم.

ونلاحظ كذالك أنّ أسعار الأسرى كانت مرتفعة جدا وأنها كانت تأخذ حصة الأسد من إجمالي قيمة الغنائم في السنة الواحدة وعلى سبيل المثال: إجمالي قيمة الغنائم لسنة 1768م هي: 165.539.36 فرنك، ومجموع قيمة الأسرى في هذه السنة هي: 33349.18 فرنك أي ما يعادل نسبة 20% من مجموع قيمة الغنائم لهذه السنة، وإليك الرسم البياني[12].

النسبة الإجمالية لقيمة الغنائم	100%
نسبة القيمة المالية للأسرى	20%

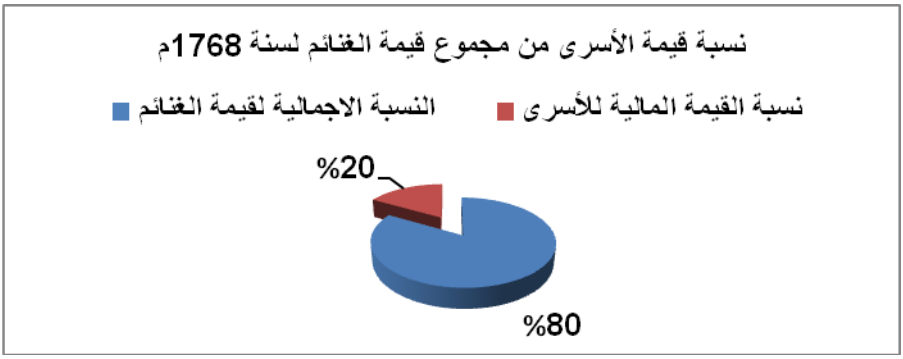

وفي بعض الأحيان نجد قيمة أسير واحد تساوي ضعف قيمة أسرين مثل ما هو موجود في الغنيمة 69 والغنيمة 73. حسب الجدول أعلاه.

4-الغنائم البحرية[13]:

تعدّ الغنائم البحرية من التأثيرات البارزة والمهمة في النشاطات الاقتصادية لمدينة الجزائر وذلك لعدة اعتبارات منها تنوع بما فيها الأسرى الذين أشرنا لهم، وكذلك تحكمت هذه الغنائم في تحديد السياسة المالية للدولة، كونها لما كانت القرصنة في ازدهار كانت سياسة الدولة متجهة للبحر، وعندما شحت هذه المداخيل التفتت إلى الداخل أي إلى السكان والتشديد في عملية تحصيل الضرائب، إضافة إلى أن هذه الغنائم توفر حاجيات السكان من المواد المصنعة، وقد تؤدي في بعض الأحيان إلى إغراق السوق والتأثير في الأسعار، خاصة أن مسار تطور مردودية القرصنة اختلفت من فترة إلى أخرى فمثلا نجد القرصنة من الربع الثاني من القرن 16 إلى نهاية القرن 17م غير مستقرة من حيث المداخيل وذلك تبعا للظروف المحيطة بأعمال القرصنة سوآءا على المستوى المحلي، أو على المستوى الدولي، وفي بعض الأحيان تبلغ مداخيل القرصنة ذروتها خاصة في سنة في سنة 1675 من القرن 17م، ونفس الشيء بلغت مداخيل القرصنة مبالغ معتبرة في الربع الأخير من القرن 18م أي من سنة 1789 إلى سنة 1799م خاصة وأن المؤسسة البحرية الجزائرية تطورت وأصبحت تظم عناصر لها من الخبرة الكافية للقيام بذلك وخاصة أنها كانت مدعومة من طرف الأعلاج[14].

وبداية من القرن 18م بدأت القرصنة في الهبوط نتيجة تغير في الوضع الدولي في البحر المتوسط منها توسيع الجزائر لدائرة السلام مع العديد من الدول الأوربية وإن كان له ثمن تمثل في الهدية السنوية أو"الإتاوة".

ومن الوثائق الرسمية التي سجلت الغنائم البحرية تتمثل في: "سجل الغنائم البحرية"[15]، الذي ترجمه "ألبرت دوفولكس" إلى الفرنسية وذلك من سنة 1765 إلى 1815م، ومتفرقات أخرى بعد هذه السنة، وإن كان قد وقع في بعض الأرقام الخاصة بالغنائم وكأنها غنيمة جديدة وأعطاها رقما أخر، وكذلك توجد دراسات أخرى عن القرصنة الجزائرية، "لدانيال بانزاك" أشارت إلى هذه التطورات الخاصة بالقرصنة الجزائرية وإن كان خصها من سنة 1800 إلى 1820م[16]، ومن بين الإحصائيات التي أوردها "دوفلكس" في سجل الغنائم البحرية والتي تعكس لنا مدى تطور مداخيل الغنائم بالفرنكات والجهة أو الدولة التي أخذت منها الغنيمة، حيث يقدم لنا عدد الغنائم وقيمتها بالفرنك ندرج بعض الإحصائيات في الجدول التالي[17]:

4-1-غنائم القرن 17م[18]:

مكونات الغنائم	النسب المائوية	قيمتها	عددالغنائم	السنة
لم تحدد مكونات الغنائم في هذه السنوات	%17.51	89108.37	38	1674
	%61.53	312988.75	83	1675
	%19.14	97387.97	58	1676
	%1.79	9143.62	12	1677
	%100	508628.49 فرنك	191 غنيمة	المجموع:04 سنوات

من سنة 1674 إلى سنة 1677م والتي أشار إليها "دفولكس" مهمة جدا حيث تدخل في الإطار الزماني للدراسة وهو عهد الدايات في الجزائر، لكن ما يبينه سجل الغنائم في هذه الفترة عدد الغنائم لكل سنة ويقدم أسماء البحارة مثل: الرايس محمد الشرشالي،

رجب رايس، الرايس كور علي بوفون، مامي رايس، علي رايس معتوق الداي،بن بكير خوجة،....إلخ.وفي الأخير يقدم قيمة الغنائم الإجمالية في كل سنة ولا يشير إلى جنسية السفن المستولى عليها ولا نوعية البضائع التي كانت على متنها ومنه لا يستطيع الباحث يقم تفسيرا كافيا عن حركة ارتفاع أو انخفاض قيمة الغنائم، فمثلا نجد سنة 1675 أخذت نسبة 61.53 % وهي أعلى نسبة ويعود تفوقها لعدد الغنائم الذي بلغ 83غنيمة، بينما سنة 1677 انخفضت إلى نسبة 1.79 % وبلغ عدد الغنائم بها 12 غنيمة فقط، فشكلت نوع من السقوط الحر بالنسبة للسنوات المذكورة في الجدول.

4-2-غنائم القرن 18م[19]:

السنة	عددها	قيمتها بالفرك	النسبة المائوية	أهم مكونات الغنيمة
1765	04	19805.87ف	%0.15	/
1766	17	113051.71ف	%1.04	أكواب الخزف+البصل+ الخمر+ أسرى مسحيين+فخار+ ماء الحياة
1767	18	356702.43ف	%2.79	أسرى+قماش سوري+ خشب لصناعة السفن+ الكاكاو+السكر+
1768	19	165539.36	%1.29	أسرى+الخشب+ لحم الخنزير+ الزيت+سمك مملح
1769	08	29008.34	%0.22	خشب+ اللوز+ الملح+سكر+ قماش+ الشمع+
1770	04	86933.31	%0.68	سمك+ حلفاء
1771	01	4350.50	%0.034	قمح+ سمك+ الخشب
1772	01	11121.75	%0.087	خشب صناعة السفن
1773	02	1991.61	%0.015	خشب+ أسير واحد
1774	04	121080.73	%0.94	شعير+حطب للطهي+سكر+كاكاو
1775	06	122001.70	%0.95	أسرى+سكر
1776	10	104572.26	%0.81	أسرى+المرجان+حديد+ دقيق لين+القمح+سمك مملح+شعير
1777	14	122440.95	%0.95	أسرى+الفحم+سمك السردين+الشعير++خشب صناعة السفن
1778	14	324.075.03	%2.53	أسرى+خشب صناعة السفن+التبغ+

				عملة أجنبية+البندق+النحاس+الزيت+خمر
1779	13	315277.92	%2.47	أسرى+ خمر+ صودة صناعة الصابون+
1780	16	457313.35	%3.58	خمر+صابون+خزف
1781	13	316204.47	%2.47	/
1782	18	571580.08	%4.47	خشب
1783	10	180025.99	%1.41	زفت+ سمك+شعير+قمح
1784	06	37455.84	%0.29	أسرى+ قمح+قماش هندي
1785	09	209377.04	%1.64	أسرى+الفحم+القمح+كحول
1786	06	143803.18	%1.12	أسرى+خمر+ مرجان
1787	10	77080.48	%0.60	خشب+سكر+القمح+التبغ+زيت
1788	03	288712.99	%2.26	القمح+الحديد+
1789	07	463159.23	%3.62	التبغ+سكر+ خشب الحم+ملح+خمر+سكر+قهوة
1790	04	95884.86	%0.75	أسرى+مدافع+بنادق+ملح+القمح
1791	06	463159.23	%3.62	زيت+خشب الفحم +القمح
1792	06	82942.98	%0.64	زيت+تبع+حرير+تبغ
1793	15	1352317.45	%10.59	أسرى+تبغ+قمح+قطن+مرجان+ قطن+مرجان+ فصوليا+قمح لين+ بن+سكر+زيت+خمر
1794	03	1204366.36	%9.43	الصوف+جلود+ القمح
1795	08	310398.47	%2.43	أسرى+زيت+قمح+ملح
1796	08	202811.61	%1.58	الفول+ قمح+ التبغ +مدافع
1797	22	1294269.72	%10.14	أسرى+سمك سردين+ خشب+ملح+ حجر الصودا لصناعة الصابون+ نقود من عملة الدبلون+كاكاو+قطن+ ليمون+سكر +كاكاو
1798	42	1510528.69	%11.83	أسرى+سمك سردين+ زيت+ خمر+صابون+ ورق+ سردين تونة+ فاصوليا +خشب+ زجاج+قمح+تبغ+ملح+ +نقود يونانية+360دورو+العنب الجاف+اللوز

1799	31	1583482.47	%12.40	أسرى+زيت+فول+ تبغ+خمر+ عنب جاف+ملح+قطن+الجوز+الجبن+ال شعير+الصوف+صودة الصابون+ أسفنج+
المجموع: 35سنة	391غنيمة	12760827.96	%100	

من سنة 1766 إلى سنة 1768 تراوحت عدد الغنائم ما بين 17 و18 غنيمة وبلغت قيمتها 635.294 فرنك أي ما يعادل 211.764 فرنك في السنة الواحدة (أي خلال 3 سنوات).

ومن 1769 إلى سنة 1775م لم تتعدى فيها نسبة الغنائم فيها 01%، ومجموع قيمة الغنائم خلال هذه السنوات: 638.488 فرنك أي بمعدل: 91.212 فرنك في السنة "أي خلال 7 سنوات) ومنه نلاحظ أن الفترة الثانية طويلة 7 سنوات قيمتها أدخلتها البحرية الجزائرية في ظرف 3 سنوات ومنه نستنتج أن العائدات في الفترة الانخفاض قد لا تغطي حتى مصاريف وتكاليف السفن وأجور عمالها.

ومن سنة 1776-1783 تراوحت عدد الغنائم ما بين 10 و18 غنيمة وبلغت قيمة هذه الغنائم 2.401.429 فرنك خلال مدة زمنية قدرها 8 سنوات أي ما يعادل 300.178 فرنك في السنة الواحدة، ومنها تضاعفت مبالغ الغنائم 3 مرات عن المرحلة السابقة وفاقت المرحلة الأولى لأزيد من 100 ألف فرنك، ونلاحظ كذلك أن معظم هذه الغنائم من السفن الإسبانية وهذا يعود إلى اشتداد الحرب التي دارت رحاها ما بين سنة 1775-1785، حيث تعرضت فيه مدينة الجزائر لحملة إسبانية مكونة 44 سفينة نزلت بتاريخ 8 جويلية 1775 شرق مدينة العاصمة بموقع وادي فنيس، ثم عاد الإسبان مرة أخرى لقصف مدينة الجزائر سنة 1783.[20].

وبلغت قيمة الغنائم من سنة 1784 إلى سنة 1792 حيث تراوح عددها ما بين 6 إلى 10 غنائم فقط وبلغت قيمتها 1.568.865 فرنك أي بمتوسط 174.318 فرنك في السنة الواحدة (أي خلال 9 سنوات) وبالتالي انخفضت قيمت الغنائم من 300.178 فرنك في السنة في المرحلة السابقة إلى انخفاض يقدر بت 125860 فرنك ويعود هذا لعدة أسباب: بداية مفاوضات السلم بين الجزائر وإسبانيا وانتهائها بمعاهدة سلم، وبالتالي انخفاض كمية الغنائم من جهة ومن جهة أخرى نستنتج النسبة المعتبرة التي كانت تحتلها الغنائم الإسبانية من جملة الغنائم التي تحصدها السفن الجزائرية من السفن الأوربية ولكن ينبغي أن نشير إلى أن إسبانيا كلفتها معاهدة الصلح، مبلغ 1 مليون قرش إسباني كتعويض أي ما يعادل 6 مليون نصف جنيه فرنسي عندما ندخل فيها قيمة الهدايا[21] . ومنه نستنتج أن ما خسرته خزينة الدولة من الغنائم عوضته من خلال معاهدة الصلح وربما أكثر فائدة لكون الغنائم لا تدخل إلى الخزينة إلا بنسبة 5 % من قيمتها أما الباقي يوزع حسب القانون المعمول به.

بعد سنة 1793 أي بعد تحرير وهران النهائي من قضية الإسبان، وكذلك في هذه الفترة محاصرة الدول الأوربية للثورة الفرنسية وزيادة الطلب على القمح الجزائري الذي سيكون أصل مشكلة الديون بين البلدين وقضاء نابليون على قراصنة مالطا، وعقد هدنة بين الجزائر والبرتغال جعل من البحر المتوسط مجال واسع للحركة الخاصة بالسفن الجزائرية مما جعل القرصنة الجزائرية تعرف انتعاشا واسعا خاصة أنها تمكنت من الخروج إلى المحيط الأطلسي، ومنه منذ 1785 أصبحت السفن الأمريكية تكون ضمن شباك القرصنة الجزائرية والتي كان على متنها أسير الداي كاتكارت[22]، ومنه توتر العلاقات بين الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية.

كل هذه الظروف جعلت القرصنة تنتعش بعض الشيء، وذلك يعود لنوعية البضائع المحملة على السفن الأمريكية مثل: التبغ، في الغنيمة رقم 274 والقمح في الغنيمة

رقم248، بالإضافة إلى القطن، حبوب جافة، القهوة، السكر، ومن السفن الأميركية التي وقعت في قبضة الجزائريين مثل الغنيمة 255 وكانت محملة بالقمح، جلبت من طرف الرايس "النجا محمد" يعمل على ظهر سفينة نوع "بيرك" ملك لحسان باشا سنة 1793م، والثانية في ديسمبر 1793م، جلبت من طرف الحاج محمد الإسلامي"(أصله يهودي دخل الإسلام) محملة بالقمح والثالثة جلبت من طرف " قارة بادجق" و"محمد الإسلامي)، والغنيمة الرابعة تتمثل في 4 سفن أمريكية محملة بالقمح جلبت من طرف "أحمد زميرلي"[23].

ويفسر ارتفاع قيمة الغنائم في هذه المرحلة وقوع عدد كبير من الأسرى خاصة في سنة 1799 حيث بلغ عدد الأسرى بها 492 أسير بالإضافة إلى مواد أخرى، ولا نستثني براعة رياس السفن مثل: "الحاج محمد الإسلامي" الذي كان له دور بارز في 07 غنائم بين سنتي 1793 وسنة 1794م، وفي نهاية هذا القرن برز من السكان المحليين شخصية كان لها الدور الفعال في أعمال القرصنة متمثلة في شخصية "الرايس حميدو" ونرصده في سجل الغنائم بداية من سنة 1797 في الغنيمة رقم: 280 في 18 رجب 1212هـ/ 07 جانفي 1797م.[24]. لكن القرصنة الجزائرية ستجد صعوبة كبيرة في القرن 19م، وهذا يعود لتطور السفن الأوربية وخاصة الأمريكية من الناحية التقنية.

4-3-الفترة من 1800 إلى 1815:[25].

السنة	عدد الغنائم	قيمتها بالفرنك	النسب المائوية	أهم مكونات الغنائم
1800	19	523574.10	%06	أسرى+قمح+ الفول+ زجاج+شمع+خشب شعير+ زيت+ صوف+ 153.5 دورو كعملة
1801	04	340318	%3.9	أسرى+شعير+عدس+زيت+ المرجان+قمح+اللوز6معكارونة+ بذور الكتان+
1802	20	575152.74	%6.59	1000 إيكي ذهبية كعملة+أسرى+424 ريال دراهم

				صغار دراهم الجزائر+قمح+213 إيكي ذهبية فنيسية و29 دورو كعملة+ قماش+ سكر+كاكاو+ 129 إيكي ذهبية نابولية+ ملح+جلود+ وصل مختوم به 43.140 ريال+714 قطعة ذهبية فينيسية+200قطعة ذهبية ثانية
1803	01	43187.62	%0.49	65 أسير حدد ثمن الأسير الواحد بـ:664.42 فرنك.
1804	09	272850	%3.13	أسرى+قمح+ وصل بقيمة 5664 دورو+654 دورو+ 1 قنطار من المرجان+ملح+ عملات مختلفة+595 دورو نابولية+ 69 قطعة فنيسية+ 18 قطعة سكينة نابولية+رخام+فخار+ خمر+726 دورو
1805	08	190433.42	%2.18	32 أسير نابولي+ فاصوليا+كبريت+ لحم بقر مملح+ زجاج+قماش+جلود+346 قطعة ذهبية فينيسسية
1806	03	283439	%3.25	أسرى+حلفاء+ سمك+أرز+قمح+نقود دون ذكر نوعها+
1807	10	357294.36	%4.09	أسرى+ 03 قوارب من المرجان+ سمك التونة+ التين+سفينة من اللوز+
1808	10	297105.81	%3.40	أسرى+حجر الصودا للصابون+قماش +شعير+ذ–درة+سمك+عنب جاف+اسفنج+الأفيون+ حبوب صبغة خضراء+قمح+فحم+فخار+
1809	07	114496.86	%1.31	أسرى+عنب جاف+سكر +زجاج+حديد+ فخار+شعير
1810	01	171347.62	%1.96	أسرى+ 1699 طزينة (شاشية)+200قطعة قماش

				أحمر+47 قطعة شاش موسلين+17قطعة قماش من الصوف+ 14486دراهم صغار+04 نساء سود
1811	04	513137.25	%5.88	صوف+05أكياس من القرمز+ شواشي+18 بالة من القماش+16 جنيه من الحرير الخام+364 جنيه من الحرير+89 طزينة من الشواشي التونسية+أرز+ صابون+ أسلحة+
1812	12	2136675.36	%24.51	أسرى+سفينة من القمح+سفينة من النبيد+سفينة من العنب الجاف+1277 كيس من الدقيق+72 رطل من القطن+140 برميل من الخل+220 كيس من القمح اللين+54 كيس من اليانسون(الكمون الحلو أوالحبة الحلوة)+05 أكياس سنا المكي+05 براميل زبدة+08 أكياس أفيون+صفائح نحاس+250 كيس من الكبريت+500 قطعة من من قماش الموسلين+06 براميل خل+2820 قنطار من القطن+470 بريك من الفرينة+2990 وزنة من الأرز والفاصوليا+ 12بريك لحم+02برميل من الزبدة المدابة
1813	03	172325.74	%1.97	أسرى+خشب لصناعة السفن+4117صاع من القمح+600 وزنة من القمح الفاسد+
1814	17	1954132.36	%22.42	12220صاع من القمح+فخار+قماش+حمولة من الحديد وزنها2241قنطار كبير و76 رطل+ مساميروزنها 39 قنطار و87 رطل+44 قنطار و35 رطل من النحاس+769 قيسة تونس من لسقة

				الزيت.+06 قناطر و65 رطل من الصبغة الحمراء+97 بريك من الزفت+10قنطار و50رطل من الدخان الأسود+ملح +الفخار الاسباني++شعير
1815	08	770415.74	%8.84	أسرى+88 كيس من السكر الأبيض+62 كيس من السكر الأحمر+82 قنطار من خشب البقم(للصباغة الطبيعية)+كاكاو+ساعة+ كراسي +6009صاع من القمح+140 قنطار و53 رطل من الحرير+1110 صاع من القمح
المجموع 16 سنة	136غنيمة	8714890.48	%100	

من خلال تتبعنا لتطور مداخيل القرصنة ، وما تعكسه الأعمدة البيانية نلاحظ تدني كبير في قيمة الغنائم ومن حيث عددها، ونستثني منها الغنيمة التي كانت سنة 1812م وبلغ عدد الغنائم 12 غنيمة: 05 برتغالية، 02 اسبانية، 02 من نابولي، 02أمريكية، 01 تونسية وبلغت قيمتها 2136675.36 فرنك فرنسي أي ما يعادل نسبة 24 % من إجمالي مجموع نسبة الغنائم من سنة 1800 إلى سنة 1815م. ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى نوعية الغنائم المحملة على السفن[26].

بعد سنة 1816 سيتضاءل عمل القرصنة خاصة بعد مؤتمر فيينا وحملة "اللورد أكسموث" التي أحرقت السفن الموجودة في ميناء مدينة الجزائر.

خاتمة:

من خلال ما تقدم من هذه الدراسة كان للقرصنة تأثير واضح على النشاط الاقتصادي لمدينة الجزائر، وذلك من حيث أنها كانت من الموارد الأساسية لخزينة الدولة، ومن جهة أخرى ممون هام للمدينة ببعض البضائع، بل أكثر من ذلك تقلص نشاطها

فيما بعد أدى إلى اختلال التوازن في مداخيل الخزينة مما دفع السلطة إلى إيجاد بدائل تمثلت في التوجه نحو سياسة مضاعفة الضرائب على السكان كانت إحدى أسباب كثرة الثورات في هذه الفترة ، ومن النتائج الأخرى التي ترتبت عن أعمال القرصنة وأثرت في مدينة الجزائر:

- بروزها كمركز دولي يتحكم في الملاحة المتوسطة لما أخذته البحرية الجزائرية من بسط نفوذها بل فرض شروط السلم الذي يتحكم على الدول الأوربية شراءه.
- إيجاد عناصر أوربية داخلية متمثلة في الأسرى من كل الأجناس الأوربية، فزادت من عدد سكان المدينة من جهة ومن جهة أخرى تم تزويد المدينة بيد عاملة مختلفة من حيث الكفاءات والحرف من صناعة وزراعة بل وحتى الطب وغيرها.
- تحقيق مداخيل معتبرة لخزينة الدولة إلى درجة أن الفترة التي سبقت القرن 18 كانت مداخيل الدولة متركزة إلى حد كبير على القرصنة وبانكماش النشاط البحري تحولت الدولة نحو زيادة حجم الضرائب والتشديد في تحصيلها من السكان.
- إغراق السوق بمختلف البضائع سواء كانت مصنعة أو غذائية في بعض الأحيان.
- مثلت الغنائم المتحصل عليها من السفن الاسبانية نسبة معتبرة من حجم الغنائم الكلي خاصة من سنة 1775 إلى سنة 1785 أي حتى توقيع معاهدة الصلح بين البلدين.
- ضعف القرصنة الجزائرية مؤشر على مدى اختلال التوازن بين ما عرفته الدول الأوربية من تقدم التقنية الصناعية وتطور سلاح البحرية في حين بقاء السفن الجزائرية على الطريقة التقليدية بل تقلص حجم الأسطول واقتصاره على عدد لا يرقى لتوفير الخدمات الخاصة بالدولة فما بالك بأمور الدفاع والتجارة.

[1] -علينا التمييز بين القرصنة التي تكون تحت إشراف الدولة مع إشراك الخواص من أصحاب السفن في التكاليف والفوائد، والقرصنة اللصوصية وهي عملية نهب بلا عقيدة أو قانون وهي مدانة عالميا، أنظر: منور مروش دراسات عن الجزائر:القرصنة، الأساطير والواقع، ج2، ص 08.

[2] -نفسه، ص191.

[3]-سجلات بيت البايليك :السجل 69، ع68، ع69، لسنة 1081 هـ/1671/1670م.اعتمدنا على هذه الوثيقة التي هي تخصّ بداية فترة الدايات، وكذلك عكس أهمية مداخيل ميناء مدينة الجزائر.

[4]-R.Lespes :Alger Esquisse de Géographie urbaine, jules carbonel, Alger,1925,in RA,no 67,,1926.p222.

[5] -Masson Paul : Histoire des Etablissements et de commerce, Français, Librairie, Hachete, Paris,1903,p444.

[6] -منور مرّوش: القرصنة....،ج2، مرجع سابق، ص339.

[7]-ناصر الدين سعيدوني: وراقات جزائرية...، مرجع سابق، ص 195.

[8]-Diego de haedo; de la captivité à Alger, traduction Moliner Violle; A lger;1911;p225.

[9] -منور مروش: دراسات عن الجزائر ....، ج2، مرجع سابق، ص 209.

[10] -Devoulx.(A) : Le Registre des prises Maritimes, document authentique et inédit concernant le partage des Captures amenées par les corsaires Algériens, Typographie A Jourdax, Alger, 1872,pp 21-114.

[11] -Devoulx.A: Tachrifat (Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger, impriment du gouvernement, Alger, 1852.:, p90.

[12] -Devoulx.(A) : Le Registre…,op.cit, pp18-20.

[13] -الغنيمة في اللغة: غَنِمْتُ الشيء أَغْنَمُهُ غُنْمًا أصبته غَنِيمَةً ومَغْنَمًا والجمع الغَنَائِمُ.

وفي الشرع: هي اسم لما يؤخذ من أموال أهل الحرب عنوة على وجه القهر أو الغلبة، أنظر: وهبة الزحيلي: موسوعة الفقه الإسلامي والقضايا المعاصرة، ج3، دار الفكر، دمشق، 2012م، ص775.

[14] -مثل سليمان رايس من أصول هولندية وكذلك مراد رايس، وسيكالا، ومصطفى جنويز من أصول جنوبية وغيرهم ساهموا في تطوير البحرية الجزائرية تقنيا وتسييرا، أنظر:.Devoulx.A: : Le Registre des prises Maritimes…,p10

[15] -من الوثائق الرسمية لدراسة هذه الفترة،حيث سجلت فيها نتائج بيع الغنائم بالمزاد العلني بانتظام من 1765 إلى 1815، وبعد هذه السنة سجلت بشكل متفرقات كون العديد من السنوات فارغة بدون غنائم بسبب الظروف التي كانت تمر بها البلاد خاصة بعد حملة اللورد أكسموث ومن السنوات التي لم تسجل فيها غنائم1823،1822،1821،1819، ويحتوي هذا السجل على ثغرات أرجعها "دفولكس" للمشريفين على التدوين في السجل كانوا لا يسجلون بعض الأمور مما يدل على وجود معاملات مالية غير مشروعة لهم فيها فائدة.

[16]-Daniel, panzac, les corsaires barbaresques la fin, d'une épopée (1800-1820), paris, Edition, du CNRS, 1999, p 311.

[17] -Devoulx.(A) : Le Registre…,op.cit,pp 09-10.

[18] -أخدنا هذه الأرقام من سجل الغنائم ورتبنها في جدول لنتمكن من تمثيلها بيانيا من سنة 1674 إلى سنة 1677 وهي السنوات التي أشير لها من القرن 17م، أنظر:

-Devoulx.(A) : Le Registre…,op.cit,pp 09-10.

[19] -قدمت هذه الغنائم من ستة1765 حتى سنة 1815 مرتبة، وأعطى لكل غنيمة رقمها الخاص مرتبة من أول غنيمة سنة 1765حتى بلغت آخر غنيمة في القرن 18م في سنة 1799م هي الغنيمة رقم 339، لكن السجل قدم معلومات مفصلة عن نوعية الغنائم، ويذكر في كثير من حيان جنسيتها، ونوعية البضائع المحملة عليها، ويقدم عدد الأسرى وقيمتهم المالية، وفي بعض الأحيان يذكر الجهة التي انتهوا إليها، أنظر:

-Devoulx.(A) : Le Registre…,op.cit,pp 12-73.

[20] -جما قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، الجزائر، 2007، ص 270.

[21] -نفســه، ص 282.

[22] -أسر على متن السفينة "ماريا" في 25 جويلية 1785 وبقي في الأسر إلى سنة 1796م، تم تعيينه قنصل لأمريكا في بلاد المغرب وتجول خلالها ما بين الجزائر وتونس وطرابلس ثم عاد إلى الولايات المتحدة الأمريكية في جانفي 1805م، أنظر: كاتكارت جيمس:مذكرات أسير الداي كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتقديم إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.1999، ص ص 274-283.

[23] – Devoulx.A , Registre ….,op.cit,p 54-56.

[24] –Ibid,p59.

[25] –Ibid,pp 73-75.

[26] -من جملة هذه الغنائم التي جلبت لمدينة الجزائر بضائع من تونس على متن سفينة انجليزية في فيفري 1812، وفي جوان 1812 04 سفن يونانية.، سفينة من القمح، سفينة محملة بالنبيذ، سفينة محملة بماء الحياة، سفينة محملة بالعنب الجاف، وسفينة فارغة، وفي الغنيمة رقم 409 نجد سفينة بدون جواز سفر محملة بـ: 1277كيس من الدقيق، و72 رطل من القطن، وقارب به 16 أسير من صقلية، وفي أكتوبر1812م سفينة من نوع "بريك" بها 06 أسرى، وسفينة أمريكية محملة:
140 برميل من الخل، 220 من الدقيق اللين، 54 كيس من "اليانسون"(الكمون الحلو، أو الحبة الحلوة، 05أكياس من سنا المكي (يستعمل للدواء ضد الإسهال)، 05 براميل من الزبدة ، و08 أكياس من الأفيون، صفائح من النحاس،250 كيس من الكبريت، و4 برميل من الكبريت، 02برميل من الأرسينيك (الزرنيخ)، و500 قطعة من قماش المسلين، و06 براميل خل من سفينة"بريك" من صقلية، سفسنة اسبانية على متنها 2820 قنطار من القطن.أنظر:

–Devoulx.A , Registre ….,op.cit,pp.93-95